الجزء الثاني المجلد الرابع والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي

جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ
نيسان ١٩٨٣ م

نقل كتب العلوم الى العربية

الدكتور صالح احمد العلي

رئيس المجمع العلمي العراقي

مكانة اللغة العربية :

كانت للغة العربية مكانة متميزة في الدولة منذ أول تأسيسها ، فهي لغة القرآن الكريم والفرائض الإسلامية ، وهي لغة الرسول (ص) والمسلمين الأولين الذين آمنوا بالإسلام وتشبعوا بتعاليمه ، ودافعوا عنه ، وكوّنوا دولته ووسعوها . وهي لغة الخلفاء والولاة والقراد والمقاتلة الذين قاموا بالفتوح وكانوا الموجهين لسياسة الدولة. وقد تمسك كلهم باللغة العربية ، فهي لغتهم ، ولغة القرآن الكريم ، ولغة الفرائض الإسلامية ؛ ولذلك كانوا يستعملونها دون غيرها في حياتهم اليومية وفي مكالماتهم والمخاطبات التي تجري بينهم ، وعملوا بعد تعريب الدواوين (في حوالي سنة ٧٥ هـ) على تعميم استعمالها في دواوين المالية والجباية والميادين الادارية الاخرى، وبذلك اصبحت اللغة العامة في الادارة ، واحدى وسائل توحيد الدولة ؛ وما لبثت ان انتشرت بين الاعاجم المتصلين بالعرب ، فكانت لغة الأعمال والتجارة العامة .

ومما ساعد على انتشار استعمال اللغة العربية غناها في المفردات ، وخاصة في ما يتصل بالإنسان وبنائه وسلوكه ، وحيوانات الجزيرة ونباتاتها ، وما يتصل بالتربة والمناخ ، هذا فضلاً عن مرونتها وقابليتها للاشتقاق والنحت .

والواقع ان تكوين اللغة العربية وخصائصها وغناها كانت مادة لدراسات غنية في المعاجم والنحو والصرف والبلاغة والبيان والادب .

كان العرب يعتزون بلغتهم . وقد تمسكوا بها ، واصروا على ابقائها لغة القرآن الكريم والفرائض الإسلامية ، فلم يقرّوا ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الاعجمية ، او اداء الفرائض الإسلامية بغير العربية ؛ وفيما عدا ذلك لم يحاولوا اجبار الناس على استعمالها ، فظلت اللغات الاخرى مستعملة عند من كان يتكلم فيها قبل الفتح ، وكانت هذه اللغات محدودة في مجتمعات متعددة ، فكل منها لغة محلية مهما كان عدد المتكلمين بها .

ان انتشار اللغة العربية في كافة ارجاء الدولة الاسلامية الواسعة كان دافعاً لانمائها وجعلها لغة عالمية ، فمن يتقنها يستطيع ان يسمع عدداً كبيراً من العلماء ، ويقرأ مقداراً كبيراً من الكتب يفوق ما يسمعه او يقرؤه من لايعرف الا لغة محلية محدودة الاستعمال ، كما ان الكتاب المؤلف بالعربية يلقى رواجاً في كافة ارجاء الدولة ، بينما الكتب المؤلفة باللغات المحلية يقتصر استعمالها على نطاق ضيق لا يتجاوز منطقة استعمال تلك اللغة . والواقع ان نمو الانتاج الفكري بمستوى عالمي عالي يزيد من اقبال المثقفين على تعلم العربية واستعمالها فيما بينهم دون ان يحتاجوا الى استخدام اللغات المحلية التي تضاءل استعمالها واقتصر على الاوساط الشعبية غير المثقفة ، وخاصة من الفلاحين .

وكانت في الشرق الاوسط لغات متعددة ولهجات محلية متنوعة ، غير ان اللغات الرئيسة السائدة هي الفارسية ، والسريانية ، والاغريقية ، ويمكن ان نضيف اليها الهندية بالرغم من البعد المكاني للهند .

عنى العرب بالأمور الفكرية منذ أزمنة قديمة ، وهذا يتجلى في ما وصلنا عنهم من شعر وامثال وأخبار ، فلما جاء الاسلام قدم دافعاً اساسياً قوياً لزيادة العناية بالفكر ، ووجهه توجيهات جديدة ، كما اظهر استيعاب اللغة العربية لما تتطلبه المستويات العالية في التفكير المجرد من تعابير دقيقة ومتنوعة . وعمل

القرآن الكريم وما كان للعرب من اهتمامات ثقافية على وضع اسس البناء الفكري الذي شارك في حفظه وتوسيعه العدد الكبير من محبي العلم ومن مختلف الاوساط والجهات ، وبدأت تتوضح معالم الصرح الثقافي وتتكامل في ميادينها الرئيسة وهي القرآن الكريم وما يتصل به من رسم كتابة ، وضبط قراءة ، وتحديد معنى ، وفهم مقصد ، وبيان سبب النزول وتاريخه ، ثم تتبع المعلومات الاضافية لما ذكره او اشار اليه من اخبار وافكار .

وبالاضافة الى الاهتمام بدراسة القرآن الكريم وما يتصل به ، فقد عني العرب بالتفكير في القضايا والمشاكل التي يواجهها الفرد في المجتمع الاسلامي ، سواء في سلوكه الفردي ، او في علاقته باسرته او بالمجتمع او الدولة ، وبمختلف الجوانب المتصلة باقامة الفرائض الاسلامية ، والعلاقات الاجتماعية ، والنشاطات الاقتصادية ، فظهرت عناية في رصدها وتتبعها والبحث في «الأمثل» المقبول منها ، فكان ذلك ميداناً بدأت تتضح معالمه فيما نسميه الفقه .

ورافق ذلك اهتمام بدراسة حياة الرسول وسيرته واعماله واقواله ، باعتباره المثل الاعلى في الاسلام ، والمدرك الاول لمتطلبات الاسلام والمعيار الذي يحكم به على الأعمال والتصرفات واستمر الاهتمام بالشعر وتقدير الكلام المعبِّر عن الملاحظة الفطنة والفكرة الطريفة والتعبير السليم ، واتصل بعضه بالدراسات الدينية ، وظل معظمه يسير بين الناس عموماً . فكان شعبياً ودنيوياً .

إنسياب وتسلل بعض الأفكار :

انهذا الهيكل الفكري اعتمد في تشييده على العرب واستقر علي ما يهتمون به وتبلور باللغة العربية . غير انه لم يقم في ارض معزولة ليس فيها الا العرب وانما امتد ازدهاره الى مناطق كان يعيش فيها عدد كبير من غير العرب ، وفيها معارف وافكار لم يبدعها العرب ، كما اسهم فيه اناس تعلموا العربية « على كبر » فكانت لهم لغة ثانية جاءت بعد لغة الام التي تعلموها منذ الطفولة . ولا بد

في مثل هذه الأحوال ان تتسلل بعض الافكار الاجنبية الى افراد وجماعات من العرب ، وقد يصـــل بعض هذه الافكار الى المفـــكرين والعلماء والمبدعين فيأخذونها او تثير فيهم التفـــكير في جوانب ومشاكل جديدة ، فتوّسع آفاقهم وتؤثر في تطوير هيكل ونطاق معرفتهم .

ان هذا الانسياب والتسلل واسع في مداه ، فهو يمتد من ما يأخذه الطفل من مربيه او امه اذا كانت اعجمية ، الى رجل الاعمال في السوق والتجارة من والى ما يسمعه محب المعرفة من اسئلة او تعليقات او آراء ممن يتصل بهم من الطلبة او غيرهم ، وهي تشمل جوانب متعددة ، منها اللغة ومفرداتها ، والقصص الشعبية وما فيها من اساطير او افكار دينية وتوجيهات خلقية ، واخبار العالم والتاريخ الشعبي ، ومعلومات عن البلدان واوصافها وخصائصها ، والعلاجات والادوية ، والافكار المتعلقة بمكانة الانسان وعلاقاته بالمجتمع وبالكون وما الى ذلك من مواضيع تدخل في باب الفلسفة والاخلاق ، وبالنظر لسعة ميدان هذا الانسياب وتشعبه وكونه يتم شفاها او بهـــدوء ومن غير تدوين ، فانه لا يمكن تحديد نوع الافكار التي جاءت عن طريقه او مقدارها او سبل انسيابها ، ومما يزيد في صعوبة هذا التحديد ان التدوين لم يصبح واسعاً الا بعد انتشار استعمال الورق في اواخر القرن الثاني الهجري ؛ غير ان المؤلفات التي كتبت بعد ذلك فيها اشارات الى بعض ما انساب عن هذا الطريق ؛ كما ان الكلمات الاعجمية التي انتشر استعمالها عند العرب تقدم دليـــلاً اخر ، وكلاهما يظهر ان ما اخذه العرب عن هذا السبيل لم يكن واسعاً ، ولا بالمستوى العالي ، وبذلك لا تتأيد صحة بعض من استغل وجود هذا التسلل فبالغ في دوره وآثاره في الميدان الذي اختاره هذا البعض ، كالذي فعل طـــه حسين في بعض آرائه في آثار الثقافة الإغريقية ، او أحمد امين في كلامه عن الآثار الفارسية .

نقل المعلومات المدوّنة :

غير ان التطور الحضاري والفكري تطلب بعد توسعه معلومات لتوسيع وتحسين المعرفة التي كونت الهيكل الثقافي ، عن علوم ومعارف لم تشغل حيزاً واسعاً في ذلك البناء ، ولكن ارتأى بعض الافراد من ذوي النفوذ وجوب الاطلاع عليها بتكمل البناء الثقافي وتوسع هيكله . وارتأوا ان تكون المعلومات الجديدة مدوّنة كيما يسهل نسخها ونشرها وقد تم ذلك عن طريق ما نسميه « النقل » أو « الترجمة » الى العربية ؛ ونقصد بذلك نقل المعارف والمعلومات من مدوّنات بلغات اعجمية الى مدونات باللغة العربية ؛ وبهذا التعريف يقصر بحثنا على نقل معلومات الكتب دون بحث الافكار والمعلومات الاعجمية التي تسربت الى العرب عن طريق السماع والمشافهة الذي اشرنا الى وجودها وصعوبة تحديدها وتتبعها بدقة .

ويتميز « النقل » بالمفهوم الذي حدّدناه ، ان بحثها يقوم على مادة معينة ملموسة ، هي « الكتب » ، ولذلك يمكن تتبعها كلياً او ببعض ما فيها ، ودراسة آثارها ومكانتها بين الكتب والمؤلفات الاخرى ومتابعة انتقالها او بعض معلوماتها في الكتب الاخرى المعاصرة أو التالية لها ؛ فهي تقدم اساساً لدراسات محددة معتمدة ؛ ولكنها في كثير من الاحيان لا تكفي لتقدير دورها وآثارها في البناء الفكري تقديراً دقيقاً .

عوامل ازدهار الفكر عند الأمم :

ولما كان الانتاج الفكري منوعاً في مادته مختلفاً في عرضه ، واسعاً في نطاقه ، فان تيسير دراسته يقتضي تجزئته وتصنيفه الى مجموعات لها رابط عام مشترك ، وهو اما ان يكون جنس المؤلف وعرقه ، او الاقليم الذي نشأ فيه ، او اللغة التي كتب فيها ، او الموضوع الذي بحثه . ولا ريب في وجود علاقة بين بعض الروابط العامة ، كالتي بين جنس المؤلف والاقليم الذي نشأ فيه واللغة التي كتب فيها ؛

غير ان هذه العلاقة لا تصل الى حد التطابق ، فليس من الضروري ان يكون كل من كتب بالفارسية فارسياً ، او كل من كتب باليونانية اغريقياً . وهذه العلاقة تكون اضعف عند سيادة استعمال لغة معينة في التآليف وخاصة ابان حكم الدول المعنية في الثقافة ، كالذي حدث في اللغة الاغريقية خلال حكم الساوقيين والبطالسة ، او اللغة العربية ابان سيادة الدولة العربية . فالعلاقة بين واحد أو أكثر من هذه الروابط لا تعني بأية حال التطابق بينها .

وقد ظهرت بعض النظريات التي تؤمن بحتمية التطابق بين الحركة الفكرية وواحد من هذه الروابط العامة ؛ ولعل ابرزها النظريات التي ربطت بين التطور الفكري والجنسي ، والتي ربطت بين التطور الفكري والاقليم ، وكلتا النظريتين تفترضان استقرار المجتمعات القديمة وقلة اختلاطها وصلتها باللغة ، اي ان الجنس العربي لا يتكلم الا العربية ، والفارسي لا يتكلم الا الفارسية ، والاغريقي لا يتكلم الا الاغريقية ؛ والعكس ايضاً صحيح فانه لا يتكلم العربية الا العرب وهكذا . وهذا ينطبق على الاقليم الذي تفترض النظريات ثبات سكانه واستمرار اثره ، وهي افكار غير صحيحة إلا الى حد محدود . فالعرب هم اغلب المتكلمين بالعربية ، ولكن بعض الاعاجم تكلموا العربية ، كما ان بعض العرب استعمل لغات اخرى في تآليفه والتعبير عن افكاره .

ان الاحاطة بكافة جوانب المعرفة والعناية بدراسة جملتها وتفصيلها هي مطلب مثالي لم يحققه اي مجتمع في القديم ؛ وان استعراض الحركة الفكرية يظهر ان كل مجتمع أولي في كل فترة من فترات تاريخه جانباً أو أكثر من الفكر ، فدرسه وأنماه ، ولكنه لم يستوعب كل جوانب الفكر ، كما ان كل مجتمع كان يتبع طرقاً معينة في البحث ، وقد يؤكد على طريقة أو طرق محدودة يرتئي انها وسيلة موصلة الى المعرفة الحقيقية ، بصرف النظر عن تقييمنا الحاضر لهذه الطرق . وقد اعتقد البعض بالتطابق بين مواضيع الثقافة

واساليب البحث والتفكير وبين الاجناس ، وهي اعتقادات كثر المدافعون عنها وانصارها في القرن التاسع عشر خاصة ، ووصلت اوجها في المانيا على عهد هتلر ، ولكنها تركت اليوم بعد ان بان زيفها ، فلم يعد يعتقد بها الا القلة المعزولة .

واعتقد فريق من المفكرين بالتطابق بين مواضيع البحث واساليبه وازدهاره، وبين البيئة الجغرافية ، وهو اعتقاد كثر المدافعون عنه من بعض المختصين بالجغرافية ، وربطه بعضهم بتمايز الاجناس التي ارجعوها الى اختلاف بيئاتهم الجغرافية ، ان هذه المعتقدات وردت في عدد من المؤلفات العربية عن الاقاليم الجغرافية حيث قسم اكثرها العالم الى سبعة اقاليم مرتبة تبعاً لبعدها من خط الاستواء ، وذكروا خصائص سكان كل اقليم ، وصاغوا كلامهم بما يوحي بان تلك الخصائص ناجمة عن الاحوال المناخية لذلك الاقليم . ووردت هذه الآراء ايضاً عند عدد من المحدثين في الغرب ، وتأثر بها بعض الباحثين في تاريخ الفكر العربي ممن ركزوا ابحاثهم على الدراسات الاقليمية .

واوضح من عبّر عن هذه الافكار عند العرب هو صاعد بن احمد حيث ذكر في كتابه « طبقات الامم » ان الامم من حيث عنايتها بالعلوم طبقتان « طبقة عنيت بالعلم فظهرت فيها ضروب العلوم وصدرت عنها فنون المعارف ، وطبقة لم تعن بالعلم عناية تستحق بها اسمه بعد من امتثله ، فلم ينقل عنها فائدة حكمة، ولا رويت بها نتيجة فكرة . فاما الطبقة التي عنيت بالعلوم فثمانية امم : الهند ، والفرس ، والكلدانيون ، والعبرانيون ، واليونان ، والروم ، واهل مصر ، والعرب .

واما الطبقة التي لم تعن بالعلوم فبقية الامم بعد من ذكرنا من الصين ، ويأجوج ومأجوج ، والترك ، وبرطاس ، والسرير ، والخزر ، وجرران ، وكشل ، واللان ، والصقالبة ، والبرغر (والبلغر) والروس والبرجان ، والبرابر ،واصناف السودان من الحبشة ، والنوبة ، والزنج ، وغانة ، وغيرهم » .

ويذكر صاعد بعد ذلك عناية اهل الصين « بالصنائع العملية ، واحكام المهن التصورية » وتميز التـــرك « بمعاناة الحروب ومعالجة آلاتها » ثم يقول « واما سائر هذه الطبقة التي لم تعن بالعلوم ، فهم اشبه بالبهائم منهم بالناس ، لأن من كان منهم موغلاً في بلاد الشمال ما بين آخر الاقاليم السبعة التي هي نهاية المعمور في الشمال ، فافراط بعد الشمس عن مسامتة رؤوسهم بردّ هواءهم وكثّف جوّهم ، فصارت لذلك امزجتهم باردة واخلاطهم فجّة ، فعظمت ابدانهم ، وابيضت الوانهم ، وانسدلت شعورهم فعدموا بهذا دقة الافهام ، وثقوب الخواطر ، وغلب عليهم الجهل والبلادة وفشا فيهم العمى والغباوة ، كالصقالبة والبرغر ومن اتصل بهم .

ومن كان منهم ساكناً قريباً من خط معدّل النهار وخلفه الى نهاية المعمور في الجنوب ، فطول مقاربة الشمس لسمت رؤوسهم اسخن هواءهم وسخف جوّهم ، فصارت لذلك امزجتهم حارة واخلاطهم محرقة ، فاسودت الوانهم ، وتفلفلت شعورهم ، فعدموا بهذا رجاحة الاحلام وثبوت البصائر ، وغلب عليهم الطيش ، وفشا فيهم النزق والجهل ، مثل من كان من السودان ساكناً باقصى بلاد الحبشة والنوبة والزنج وغيرها .

واما الجلانقة والبرابرة وسائر سكان اكناف المغرب من هذه الطبقة فأمم خصها الله تعالى بالطغيان والجهل ، وعمّها بالعدوان والظلم ، على انهم لم يوغلوا في الشمال فتلحقهم آفة البلد ، ولا تمكثوا من الجنوب فتقصر بهم طبيعة الموضع ، بل مساكنهم قريبة من البلاد المعتدلة الهواء .

فاما الجلالقة فمساكنهم في مغارب بعض الاقليم الخامس وما يتصل به من بعض الاقليم السادس ، واما البرابر فمساكنهم في مغارب بعض الاقليم الثاني وما يتصل به من الاقليم الثالث وبعض الاقليم الرابع ، ولكن الله يختص برحمته من يشاء ، ويعدل بنعمته عمن يشاء .

واما سائر من لم اذكره بشيء من هذه الطبقة ، فهم اسوة هؤلاء في الجهل وان اختلفت مراتبهم فيه ، وتباينت قسمهم منه ، لأنهم اجمعين مشتركون فيما ذكرنا منهم من انهم لم يستعملوا افكارهم في الحكمة ، ولا راضوا انفسهم بتعلم الفلسفة » (١) .

ومن الواضح في كلام صاعد ان الامم التي اشتهرت بالعلوم والعناية بالفكر ، هي التي تسكن الاقاليم الوسطى ؛ وان السبب الرئيسي لنشاط العلوم او جمودها هو المناخ الذي هو العامل الحتمي الاكبر ؛ غير ان الاستعراض التاريخي لتطور مراكز ازدهار العلم يظهر زيف هذه الحتمية المناخية ؛ حيث ان الامم التي قرّر جمودها الفكري تشهد في العصور الحديثة ازدهاراً فكرياً يؤهلها لان تكون في الصفوف المتقدمة من العناية بالعلوم ؛ كما ان اهل الاقاليم الوسطى مرت بكثير منهم فترات ازدهار ،وفترات اخرى من الركود وأوضح مثل على ذلك هو اليونان التي شهدت فترة من الازدهارالفكري العظيم ، وتلاها فترات طويلة من الركود ، ومثل هذا يصح على بعض اقاليم البلاد العربية التي مرت بها فترات من الازدهار والركود ، علماً بان بعض سكان الاقاليم الوسطى لم يعرف عنهم مساهمة كبيرة في العلوم ؛ بالاضافة الى ان العلم كان في المناطق الوسطى مثار اهتمام بعض وليس كل سكان اية منطقة .

ان نشاط أو خمود الحركة الفكرية في اي مجتمع هو نتيجة عوامل متفاعلة تجري مفعولها ضمن زمان ومكان محدد ، فهي ليست حتمية ، ولا تجمد على موضوع واحد او اسلوب معين ، وليس لها اساس واحد جامد ، وانما قد تتأثر بعدة اسس ، فأي اساس يتخذ يمكن ان يثير بعض الاعتراضات ، ولكن بالنظر لوجود صلة قوية بين اللغات والمجتمعات والاقاليم ، فاننا سنتخذ اللغة اساساً للتصنيف العام ، مع الاشارة الى مدى علاقتها بالعوامل الاخرى .

---

(١) طبقات الامم ص ٧-٩

النقل من الفارسية

يقول حمزة الاصبهاني ان طبقات ملوك الفرس القدماء اربعة هم الفيشدادية ، والكيانية ، والاشغانية ، والساسانية ، ثم يضيف « وتواريخهم كلها مدخولة غير صحيحة ، لانها نقلت بعد مائة وخمسين سنة من لسان الى لسان ، ومن خط متشابه رقوم الاعداد الى خط متشابه رقوم العقود ، وينقل عن ابي معشر قوله « التواريخ اكثرها مدخول فاسد . . وكذلك سنو ملوك الفرس وتواريخهم مع اتصال ايام ملكهم من اول الدهر الى ان زال ملكهم ، وقد بان فيها تخليط كثير وفساد بين ذلك . . انهم يزعمون ان الارض مكثت سنين كثيرة مرة بعد مرة ، وليس لها ملك منهم ولا من غيرهم [٢]

ويرجع حمزة اسباب قلة ما بقي من الانتاج الفكري الفارسي الى الاسكندر ، فهو يقول ان الاسكندر « لما استولى على ارض بابل وقهر اهلها حسدهم على ما كان اجتمع لهم من العلوم التي لم تجتمع قط لامة من الامم مثلها ، فأحرق من كتبهم ما نالته يده ، ثم قصد الى قتل الموابذة والهرابذة والعلماء والحكماء ومن يحفظ عليهم في اثناء علومهم تواريخهم حتى على عامهم هذا بعد ان نقل ما احتاج اليه من علومهم الى لسان اليونانيين » [٣] ولا ريب في ان الشق الاول من النص يتعلق ببابل ، اما الشق الثاني فالراجح انه يتعلق بالفرس لما فيه من ذكر الموابذة والهرابذة .

ويقول ايضاً ان الاسكندر « نقل عن بلدانهم علم النجوم والطب والفلسفة والحراثة الى بلدان المغرب بعد ان حولها الى اليونانية والقبطية ، وان ملوك الطوائف في ايامهم وضعت الكتب التي هي في ايدي الناس مثل كتاب مزدك ، وكتاب سندباد وكتاب سرسفاس وكتاب شيماس وما اشبهها من الكتب التي يبلغ عددها قريباً من سبعين كتاباً[٤] .

(٢) تاريخ سنى ملوك الأرض . ص ١٣–١٤
(٣) كذلك ص ٢٤
(٤) كذلك ص ٤٠

والواقع ان الانتاج الفكري الذي وصل الينا بالفارسية يرجع اقدمه الى زمن الدولة الساسانية التي جعلت الفارسية لغة رسمية في الدين والادارة ، وبذلك حلت محل الاغريقية ، اما السبعون كتاباً التي اشار اليها حمزة فليست لدينا عنها معلومات

للفرس مناصرون في العهد الإسلامي وفي الأزمنة الحاضرة :

قضى العرب على الدولة الساسانية خلال مدة قصيرة انتصروا فيها بعد معارك حامية ، فأزالوها من الوجود ، وهيمنوا على كافة الاقاليم والبلاد التي كانت تحت حكمها . وبذلك اصبحت الدولة العربية الجديدة تضم كافة مراكز الحضارة والثقافة الساسانية ودخل في دولتهم كافة من كان خاضعاً للساسانيين من قبل بما فيهم اتباعهم وانصارهم والمتعصبون لهم ، ولم يترك الاقامة في الدولة الجديدة الاعدد قليل جداً هرب الى بلاد اواسط اسيا او الى الهند حيث يذكر البيروني « وبقي المجوس الى الآن بارض الهند ويسمون بهاملت » (٥) ، ولا تزال جالياتهم البارسية قائمة خاصة في بومباي ، وتقتضي هذه السيطرة السريعة الشاملة الى بقاء التنظيمات الادارية القديمة ، والمراكز الفكرية القديمة ؛ والواقع ان معظم بيوت النار الكبيرة ظلت في العصور الاسلامية كما سنذكر فيما بعد .

أمّن العرب لمن ظل مقيماً في دولتهم الجديدة حرية العمل والتنقل والتفكير ، واعتبروا ذميين ، وعوملوا معاملة اهل الكتاب . واستخدمت الدولة الجديدة عدداً غير قليل منهم في ادارة كثير من المراكز الحضرية غير العربية ، وفي دواوين الخراج والجباية ، واباحوا لهم متابعة السير على اساليبهم القديمة ما دامت لا تهدد الأمن والاستقرار ولا تتحدى المثل العليا التي يعتز بها العرب المسلمون وقد ظل الكتاب يستعملون في اقاليم المشرق اللغة الفارسية حتى سنة ٧٥ هـ حيث الزموا باستعمال العربية في مكاتباتهم ومعاملاتهم ، ولكن الدولة ابقتهم في اعمالهم ، فلم تُقصهم عنها ، ولم تلزمهم باتباع اساليب تختلف عما

(٥) البيروني : تحقيق ما للهند من مقولة ١٥

كانوا يعملون عليه .

وقد سار العرب في ادارتهم على مبادىء من الحرية والروح الانسانية ، فرضي الناس بالحكم الجديد، وقدّروا مُثلَهُ ، واقبلوا على اعتناق الاسلام طوعاً، واخذوا يتسمّون باسماء عربية ، وقد تم ذلك بصورة اختيارية ومن غير اجبار ، كما أقبل عدد غير قليل من الاعاجم على تعلم اللغة العربية ودراسة « علوم الاسلام » العربية وما يتصل بالقرآن الكريم والحديث النبوي ، واللغة العربية وآدابها ، وكلها معبرة عن ثقافة العرب ، ممكّنة لمثلهم الفكرية .

ومن مظاهر وآثار الحرية التي رعاها العرب اتاحة المجال لكثير من الاعاجم اشغال مناصب منوعة ، وبعضها عالية ، في ادارة الدولة ، وخاصة بعد تولي العباسيين الخلافة ، مما دفع البعض الى وصم دولة العباسيين بانها « عجمية خراسانية ، ، ودولة بني مروان عربية اعرابية وفي اجناد شامية » [٦] .

ان الحرية التي وفرها العرب في دولتهم كان لها اثر كبير في ازدهار الفكر ونشاطه في عدد غير قليل من المراكز الحضرية ، بما في ذلك العراق واماكن متعددة من الهضبة الايرانية ، وليس من قبيل الصدف ان يتركّز النشاط في المراكز التي استوطنها العرب ، وان تشهد بلاد الهضبة الايرانية بعد ان اصبحت ضمن الدولة الاسلامية الجديدة، اروع ازدهار فكري وحضاري، وان ينصبّ معظم هذا النشاط على المعارف المتصلة بالعرب والتي عنى بها العرب والتي تجسد تراث العرب الفكري ، وان ينمو هذا الازدهار ذاتياً وتلقائياً ، ومن دون فرض خارجي او اجبار قسري او تقيد في طبقة معينة .

قادت الحرية الى تنوع الافكار وتعدد الآراء ، والى ظهور تيارات فكرية بعضها متعارضة ، وشملت الكليات والجزئيات ، ويتجلى هذا بوضوح في

(٦) الجاحظ : البيان والتبيين ٣٦٨/٣

تعدد وتباين الآراء التي عرضتها الفرق الاسلامية عن ذات الله تعالى وصفاته وعلاقته بالانسان ؛ وبصورة خاصة آراء المجسّمة(٧) .

يسرت هذه الحرية للمعجبين بالساسانيين والمتعصبين لتراثهم مجالاً واسعاً لابداء آرائهم والمجاهرة بالاشادة بالتراث الساساني حتى اذا كان ذلك على حساب الانتقاص من الثقافة العربية والاسلامية التي تتبناها الدولة والتي يسرت لهم البقاء والنمو . وقد اورد الجاحظ في الملخص الذي وصلنا من رسالته « في ذم اخلاق الكتاب» ما كان سائداً في اوساط الكتاب ، وهم موظفو الدواوين ، من تعصب للثقافة الساسانية فقال بعد وصف صلفهم وتعاليهم وتبجحهم .

« ثم ان الناشيء فيهم اذا وطيء مقعد الرئاسة،وتورّك مشورة الخلافة ، وحجزت السلة دونه ، وصارت الدواة امامه ، وحفظ من الكلام فتيقه ، ومن العلم مليحه ، وروى لبزرجمهر امثاله ، ولاردشير عهده ، ولعبد الحميد رسائله ، ولابن المقفع ادبه ، وصيرّ كتاب مزدك معدن علمه ، ودفتر كليلة ودمنه كنز حكمته ، ظن انه الفاروق الأكبر في التدبير ، وابن عباس في العلم بالتأويل ، ومعاذ بن جبل في العلم بالحلال والحرام ، وعلي بن ابي طالب في الجرأة على القضاء والاحكام ، وابو الهذيل العلاّف في الجزء والطفرة، وابراهيم بن سيّار النظّام في المكامنات والمجانسات، وحسين النجار في العبارات والقول بالاثبات ، والاصمعي وابو عبيدة في معرفة اللغات والعلم بالانساب ، فيكون اول بدوّه الطعن على القرآن في تأليفه ، والقضاء عليه بتناقضه ، ثم يظهر ظرفه بتكذيب الاخبار وتهجين من نقل الآثار ، فان استرجح احد عنده اصحاب الرسول (ص) فتل عند ذكرهم شدقه ، ولوى عن محاسنهم كشحه ، وان ذكر عنده شريح جرّحه ، وان نعت له الحسن استثقله ، وإن

(٧) انظر مثلا رأي المغيرية في كتاب البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٤٦ وانظر ايضاً : مقالات الاسلاميين للاشعري ١/٢٥٧ — ٨

وصف له الشعبي استحمقه ، وان قيل له ابن جبير استجهله ، وان قدم عنده النخعي استصغره .

ثم يقطع ذلك من مجلسه بسياسة اردشير بابكان ، وتدبير انوشروان ، واستقامة البلاد لآل ساسان [٨] .

قدمت معظم الكتب التي تعني بتاريخ اقاليم الشرق الاوسط عن الدولة الساسانية صوراً تعطي انطباعاً بعظمة ملوكها ورقي الحضارة في عهدها وازدهار الفكر في زمنها ؛ وأدى كثرة ما قيل في ذلك ، وبعضه صادر من علماء متبحرين الى اعتقاد الكثيرين بصحة هذه الصورة . وليس هنا مجال الافاضة في ايراد ما جاء في ذلك ، وانما نقتصرعلى ايراد ثلاثة امثلة ، واحد من مؤرخ حضارة قديم هو المسعودي ، وثانيه من مستشرق بارز هو الاستاذ نالليو ،وثالثه من عالم عربي متبحر في تاريخ الفكر العربي وتطوره ، هو الاستاذ احمد امين .

فأما المسعودي فانه يقول ان الساسانيين « كانوا اهل العز الشامخ ، والشرف الباذخ ، والرئاسة والسياسة ، فرساناً في الوغى ، صبراً عند اللقاء ، أدت اليهم الامم الاتاوات ، وانقادت الى طاعاتهم خشية صولتهم وكثرة جنودهم » [٩] .

ويقول الاستاذ نالليو « كلكم تعلمون ان الفرس ادركوا من مدارج التقدم في المعارف منزلة عالية جديرة بالذكر في ايام كسرى انوشروان (٥٣١–٥٧٨) اعظم ملوك بني ساسان ،سار ذكره بالقوافل والركبان ،فزها عندهم ماتوارثوه عن اسلافهم واهل بابل واليونان من العلوم العقلية ، او نقلوه من الامم المجاورين لهم من الروم والسريان والهند ، وفي مدينة جنديسابور من اعمال خوزستان انشأ ذلك الملك الكبير الخطير المدارس العليا لا سيما لتعليم الطب ، ذاع صيتها في كل النواحي والآفاق ، واحضر لها اشهر الاساتذة من السريان وغيرهم ، ثم أمر بنقل كتب علمية من اللغات السريانية واليونانية والسنسكريتية الى البهلوية التي كانت في ذلك العصر لغة

(٨) « من ذم اخلاق الكتاب » منشور في مجموعة رسائل الجاحظ لعبدالسلام هارون ١٩١/٢–٤

(٩) التنبيه والاشراف ٩٤

الفرس ، فلما جبل لهم من الذكاء والتعقل والميل الى اسباب التمدن ، أجادت الفرس في تلقي العلوم الدخيلة ، وظلوا كثيري العناية بها ، مبرزين فيها ، الى ان غزاهم العرب غزواً رهيباً ، وهزموا جنودهم هزماً مهيباً ، فانقرضت دولة الاكاسرة الكبار ، وفاض الاسلام على ما كان لهم من المدن والديار ، فاندرس شيئاً فشيئاً استعمال لغتهم البهلوية ، واخذت تبرق في اقاليمهم انوار العربية . وبعدما فتحت مماليكهم وكثر الاحتكاك والمخالطة بين الامتين ، اصبحت العجم بين العرب في ديار الخلافة الشرقية مثل الخميرة في عجين الدقيق ، فعملوا في الرقي عملاً يذكر . واثّروا في احوال التمدن الإسلامي تأثيراً لا ينكر ، وعلّموا غالبيهم كثيراً من الفنون مما كانت العرب ابعد الناس عنه ، واظهروا العناية بصيانة العلوم والحرص على اتقانها ، وبرزوا في اصناف المعارف والصنائع ، حتى وضع الحديث النبوي « لئن تعلق العلم باكناف السماء لناله قوم من اهل فارس»[١٥] .

ويقول الاستاذ احمد امين « وقد كان للفرس من قديم علم وادب يتناسبان مع ضخامة ملكهم وعظم سلطانهم ، فلما جاءت الدولة العباسية ، وكثير من رعيتها فرس لهم نزعة وطنية وميول قومية ، أخذ المثقفون ينقلون الى العربية تراث آبائهم وما حفظت العصور الى عهدهم : كانت لهم كتب في التنجيم والهندسة والجغرافية وكانت تتوالى عليهم نكبات تذهب بكثير من كتبهم ، ولكن كانت مدنيتهم في حياة وعظمة ، فكانت تسترد مجدها بتأليف كتب جديدة تساير عظمتهم ، وأكبر نكبة عرتهم كانت بفتح الاسكندر لبلادهم ، وقد تلف في هذا العهد كثير من خزائن كتبهم ، فلما جاءت الدولة الساسانية (٢٢٦ — ٦٥٢ م) استعادوا ادبهم وعلمهم ، واظهر ماوكهم من الميل الى العلم وتشجيع الترجمة والتأليف اردشير بن بابك (٢٢٦ — ٢٤١ م) فقد بعث في طلب الكتب من الهند والروم والصين ؛ وكذلك الشأن في عهد ابنه سابور وعهد كسرى انوشروان .

(١٠) تاريخ علم الفلك عند العرب ص ١٨٠-١٨١ .

وقد دامت الدولة الساسانية نحو اربعة قرون خلّفت فيها علماً كثيراً وأدباً وفيراً ، واكثر ما نقل الينا في العصر العباسي من الأدب والعلم والاساطير والتاريخ انما يرجع الى هذه الأسرة . فلما نشطت الحركة العلمية في العصر العباسي ، اخذ طائفة يجيدون اللسانين الفارسي والعربي ينقلون الكتب من الفارسية الى العربية »[١١] .

خصائص الدولة الساسانية :

ان الدراسة الدقيقة للمعلومات التي وصلتنا عن الحكم الساساني واحواله تظهر عدم دقة هذه الاحكام وبعدها عن الصواب ، فان الملوك الساسانيين الاقوياء كانوا قليلي العدد ، ون الازدهار الفكري والحضاري في العهد الساساني مبالغ فيه .

لا ريب في ان الدولة الساسانية استطاعت طوال القرون الاربعة التي استمر فيها حكمها ان تصد الهجمات الخارجية التي وجهت اليها وان تبقي الحكم محصوراً بالأسرة الساسانية ، وانها طبقت نظاماً ادارياً أمن لها السيطرة ، ولكن يجدر ان نذكر انه من الخمسة والثلاثين ملكاً الذين تعاقبوا على العرش لم يزد عدد الملوك البارزين على الثمانية ، أما الباقون فكانوا من الضعف او سوء التصرف ما جعل المؤرخين الذين عنوا بتدوين التاريخ الساساني لا يخصون اياً منهم باكثر من اسطر قليلة . ثم ان الاسرة الساسانية لم تكن قوية التماسك ، فقد قام كثير من ملوكهم بقتل اخوتهم والتضييق على بقية افراد الاسرة تأميناً لاستقرار حكمهم وتخلصاً من منافسيهم ؛ كما ان عدداً غير قليل من ملوكهم عُزل وقُتل على اثر ثورة عارمة قادها رجال من الجيش او افراد من الاسرة ، وقلما تردد خلال حكم اي ملك ذكر لاحد من افراد اسرته غير الملك وولي عهده . فالحكم فردي محصور بالاسرة التي كان تماسكها ضعيفاً .

ثم ان وحدة الدولة الساسانية كانت ظاهرية فقط ، وان سلطان الملك لم يكن مطلقاً ، وانما كانت تحدده عدة قوى من اهمها سلطة الملوك الذين يبلغ عددهم

(١١) ضحى الاسلام ١ / ١٧٥-١٧٧ .

قرابة الخمسة والعشرين ، ولكل منهم سلطات واسـعة على المنطقة التي يحكمها واظهر مثل على ذلك هم ملوك المناذرة في الحيرة الذين تتوفر عنهم معلومات واسعة تظهر انهم كانت لهم جيوش خاصة تأتمر بامرتهم ، ولهم بلاط وادارة ، وهم يقومون باعمال سياسية وحربية واسعة لمصالحهم الخاصة .

ثم انه كان في بلاد الدولة الساسانية اصحاب البيوتات السبعة ، ولكل من هذه البيوتات رئيس يحكم منطقة واسعة ، وله جيش خاص وسلطات ادارية واسعة ومكانة سياسية عالية . وبالاضافة الى ذلك فقد كان المجتمع طبقياً ، وكان للطبقات المقرّبة من الملك نفوذ كبير في الادارة والجيش ورجال الدين ، كما كان النظام يرعى الاساورة والاشراف والدهاقين [١٢] . ويقول المسعودي ان للفرس « كتاباً يقال له كهنامه فيه مراتب مملكة فارس ، ولها ستمائة مرتبة على حسب ترتيبهم » [١٣] .

ثم ان الدولة الساسانية تبنّت الزرادشتية وجعلتها الدين الرسمي للدولة . والزرادشتية دين دعا اليه زرادشت في القرن السادس قبل الميلاد وتبناه الملوك الاخامينيون ، وعندما قضى الاسكندر المكدوني على الدولة الاخامينية اضطهد الزرادشتية ، فقُتل اتباعها وضعف رجالها وتشتّتْ كتبها. فلما ولى الساسانيون الحكم تبنوها وعملوا على جمع كتبها ، ولكن نجاحهم كان محدوداً ، فظل كثير من فصول الافستا ، وهو كتابهم المقدس ، مفقودة .

والزرادشتية عقائدها معقدة ، وتعاليمها شديدة وقاسية ، ولذلك انحصرت في عدد محدود من المقربين للسلطة ، ولم يعم انتشارها ، وفي هذا يقول الجاحظ « لم نر قط ذا دين تحول الى المجوسية من دينه ، ولم يكن ذلك المذهب الا في شقهم وصقعهم من فارس والجبال وخراسان ، وهذه كلها فارسية »[١٤] .

(١٢) انظر في ذلك كتاب التاج المنسوب للجاحظ ٢٥ ، البيروني تحقيق ماللهند ٧٦ مروج الذهب ١/٢١٢– ١٣ طبعة صادر .

(١٣) التنبيه والاشراف ٩١–٢ (١٤) الحيوان ٤/٣٢٦

تعدد اللغات والخطوط في الهضبة الايرانية :

اما اغلبية السكان فكانوا يعتنقون اديناً اخرى كالمانوية ، واليهودية ، والمسيحية التي انتشرت بين اهل العراق والاهواز .

ثم ان لغات سكان الدولة الساسانية متعددة ، فيذكر ابن النديم نقلاً عن ابن المقفع « لغات الفارسية : الفهلوية ،والدرية ، والفارسية ، والخوزية ،والسريانية.

فاما الفهلوية فمنسوبة الى فهلة ، اسم يقع على خمسة بلدان ، وهي اصفهان والري ، وهمدان ، وماه نهاوند ، واذربيجان .

واما الدرية فلغة مدن المدائن ، وبها كان يتكلم من بباب الملك ، وهي منسوبة الى حاضرة الباب ، والغالب عليها من لغة اهل خراسان والمشرق لغة اهل بلخ .

واما الفارسية فيتكلم بها الموابذة والعلماء واشباههم ، وهي لغة اهل فارس .

واما الخوزية فبها كان يتكلم المارك والاشراف في الخلوة ومواضع اللعب واللذة ومع الحاشية .

واما السريانية فكان يتكلم بها اهل السواد .

والمكاتبة في نوع من اللغة بالسرياني فارسي» [١٥] .

ولا ريب في ان اختلاف اللغات يعكس اختلافات ثقافية وعرقية ليس هنا مكان بحثها ، وانما نقتصر على الاشارة الى قول الجاحظ ان « اهل سوق الاهواز افصح الناس بالبهلوية » [١٦] .

ويقول الاصطخري ان أهل اقليم فارس « لهم ثلاثة السنة : الفارسية التي يتكلمون بها ، وجميع اهل فارس يتكلمون بلغة واحدة يفهم بعضهم عن بعض الا الفاظاً تختلف لا تستعجم على عامتهم . ولسانهم الذي به كتب العجم وايامهم

(١٥) الفهرست لابن النديم ١٥ وانظر حمزة الاصفهاني ، التنبيه على حدوث التصحيف ص ٦٧ فما بعد .

(١٦) البيان والتبيين ١٣/٣

ومكاتبات المجوس فيما بينهم هو الفهلويةالتي تحتاج الى تفسير حتى يعرفهاالفرس ، ولسان العربية التي بها مكاتبات السلطان والدواوين وعامة الناس [١٧] .

ويقول المقدسي ان « كلام اهل هذه الاقاليم الثمانية (وخراسان) بالعجمية ، الا ان منها درية ومنها منغلقة وجميعها تسمى الفارسية ، واختلافها يبين ، وانعجامها مشكل ، وسنبين ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى ونقربه جهدنا ونذكر من كلام كل قوم حروفاً نستدل بها على مواضعها من سمعها في الافاق »[١٨].

لا يقتصر التنوع في دولة الساسانيين على اللغات ، وانما يمتد الى الخطوط ايضاً ، فينقل ابن النديم عن ابن المقفع قوله :

« للفرس سبعة انواع من الخطوط :

منها كتابة الدين ، وتسمى دين دفيريه ، يكتبون بها الابستاق .

وكتابة اخرى تسمى ويش دبيريه ، وهي ثلاثمائة وخمسة وستون حرفاً ، يكتبون بها الفراسة والزجر وما شاكل ذلك ، ولم تقع لأحد نعلمه ، ولا في ابناء الفرس من يكتب بها اليوم ، سألت اماد الموبذ عنها فقال نعم ، هي تجري مجرى الترجمة كما في كتابة العربية تراجم .

وكتابة اخرى ويقال لها الكشتج ، وهي ثمانية وعشرون حرفاً ، يكتب بها العهود ، والمرونة ؟ ، والقطائع .

وكتابة اخرى يقال لها نيم كشتج ، وهي ثمانية وعشرون حرفاً يكتب بها الطب والفلسفة .

وكتابة اخرى يقال لها الشاه دبيريه ، وكانت ملوك الاعاجم يتكاتبون بها فيما بينهم دون العوام ، ويمنع منها سائر اهل المملكة حذراً من ان يطلع على اسرار الملوك من ليس بملك ، ولم تقع الينا .

---

(١٧) المسالك ١٣٧

(١٨) احسن التقاسيم ٢٥٩

وكتابة الرسائل على ما يجري به اللسان ، وليس فيها نقط ، ويكتب بعضها بلغة السريانية الاولة التي يتكلم بها اهل بابل ، وتقرأ بالفارسية وعدد حروفها ثلاثة وثلاثون حرفاً ، يقال لها نامه دبيريه ، وهام دبيريه ، وهي لسائر اصناف المملكة خلا الملوك فقط .

وكتابة اخرى يقال لها رازمهرية كانت الملوك تكتب بها الاسرار مع من يريدون من سائر الامم ، وعدد حروفها واصواتها اربعون حرفاً ولكل واحد من الحروف والاصوات صورة معروفة ، وليس فيها شيء من اللغة النبطية .

ولهم كتابة اخرى يقال لها راس سهرية ، يكتب بها المنطق والفلسفة وهي اربعة وعشرون حرفاً ، وفيها نقط ، ولم تقع الينا .

ولهم هجاء يقال له زوارشن ، يكتبون بها الحروف موصولة ومفصولة يكتب كوشت ، وهو اللحم بالعربية ، كتب بسرا ، ويقرأه كوشت »[19] .

« وقد ذكر حمزة الاصبهاني الخطوط السبعة ومعناها فقال :

واما معنى رم دفيره فالكتابة العامية ، ومعنى كشته دفيره الكتابة المتغيرة . ومعنى نيم كشته الكتابة المغير نصفها .

ومعنى فرورده دفيره كتابة الرسائل ، ومعنى رازدفيره كتابة السر . كاتب الترجمة .

ومعنى دين دفيره كتابة الدين ، وكان يكتب بها قرآنهم وكتب شرائع دينهم .

ومعنى وسف دفيره جامع الكتابات ، وكانت كتابة تشتمل على لغات الامم من الروم والقبط والبربر والهند والصين والترك والنبط والعرب .

فكانت كتابة العامة من بينها ترسم بثمانية وعشرين قلماً ، لكل قلم منها اسم

(١٩) الفهرست ١٥-١٧

على حدة ، نحو ما يقال في الخط العربي وخط التجاويد وخط التحرير وخط التعليق [٢٠]

ويذكر المسعودي ان الافستا كتبها زرادشت« بالفارسية الاولى ولا يعلم احد اليوم معنى تلك اللغة ، وانما نقل لهم الى هذه الفارسية شيء من السور فهي في ايديهم يقرأونها في صلواتهم » .

ويذكر المسعودي أيضاً ان دين دبيرة « عدد حروفه واصواته ستون حرفاً وصوتاً، لكل حرف وصوت صورة مطردة ، منها حروف تتكرر وحروف تسقط » ، وان كشن دبيره « تفسيره كتابة الكل ، يكتب به سائر لغات الامم وصياح البهائم والطير وغير ذلك ، عدد حروفه واصواته ١٦٠ لكل حرف وصوت صورة مفردة وليس في سائر خطوط الامم اكثر حروفاً من هذين الخطين .

وللفرس غير هذين الخطين اللذين احدثهما زرادشت خمسة خطوط منها ما تدخله اللغة النبطية ، ومنها ما لا تدخله » [٢١] .

ولا ريب في ان تعدد اللغات والخطوط لـه اثر في اضعاف الحركة الفكرية

النقلة الفارسية :

ذكرنا من قبل ان العرب ضموا الى دولتهم كافة البلاد التي كان يحكمها الساسانيون وبذلك اصبح انصار الساسانيين والمتعصبون لهم يقيمون في الدولة الاسلامية الجديدة ويتمتعون بحرية واسعة تيسر لهم الحفاظ على افكارهم وعقائدهم واستعمال لغاتهم الخاصة ؛ وقال الخليفة عمر بن الخطاب في الزرادشتيين « سنّوا بهم سنة اهل الكتاب » اي انه امر ان يعاملوا كما يعامل اهل الكتاب ، وبذلك احتفظت الزرادشتية التي كانت من دعائم الحكم الساساني بتنظيماتها ومراكزها، شأن الديانات الأخرى .

(٢٠) التنبيه على حدوث التصحيف ، نقلها عن زرادشت بن اذرخون المعروف بمحمد المتوكلي ص ٦٤-٦٨

(٢١) التنبيه والاشراف ٨٠-٨١

اشغل عدد من مؤيدي الساسانيين والمتعصبين لهم مناصب في الادارة والدواوين ، ولما سادت اللغة العربية في الدواوين بعد تعريبها ، تيسر المجال لنقل افكارهم الى العربية ، وتوفرت الفرصة لترجمة الكتب الساسانية ، ولم يعرقل العرب عملية الترجمة التي لقيت تشجيعاً لا من المتعصبين للساسانيين فقط ، وانما حتى من بعض اصحاب السلطة من العرب .

استرعب ابن النديم في كتابه « الفهرست » اسماء الكتب التي الفت بالعربية او نقلت اليها حتى سنة ٣٧٧ هـ ، واورد أسماء المؤلفين والنقلة والمترجمين ، ولم يغفل من ذلك الا القليـــل ؛ لذلك فان الاعتماد عليه في دراسة التأليف والنقل كفيل بان يوصل الى نتائج صائبة .

عقد ابن النديم في كتابه فصلاً بعنوان « اسماء النقلة من الفارسي الى العربي : ابن المقفع ، وقد مضى خبره في موضعه .

آل نوبخت اكثرهم ، وقد مضى ذكرهم ، ويمضي فيما بعد ان شاء الله تعالى ، موسى ويوسف ابنا خالد وكانا يخدمان داوود بن عبدالله بن حميد بن قحطبة ؛ وينقلان له من الفارسية الى العربية ، التميمي واسمه عـــلي بن زياد ، ويكنى ابا الحسن ، نقل من الفارسي الى العربي ، فمما نقل زيج الشهريار ، الحسن بن سهل ، ويمر ذكره في موضعه من اخبار المنجمين ، البلاذري احمد ابن يحيى بن جابر ، وقد مضى ذكره ، وكان ناقلاً من الفارسي الى العربي ، جبلة بن سالم كاتب هشام ، وقد مضى ذكره ، وكان ناقلاً الى العربي من الفارسي ، اسحاق بن يزيد ، نقل من الفارسي الى العربي ، فمما نقل كتاب سيرة الفرس المعروف بخداي نامة .

ومن نقلة الفرس : محمد بن الجهم البرمكي ، هشام بن القاسم ، موسى ابن عيسى الكروي ، زادويه بن شاهويه الاصفهاني ، محمد بن بهرام بن مطيار الاصفهاني ، بهرام بن مردان شاه موبذ مدينة سابور من بلد فارس ، عمر بن

الفرخان ، ونحن نستقصي ذكره في المصنفين . [٢٢]

وذكر ابن النديم في اماكن متفرقة من كتابه معلومات عن بعض من ذكرهم في النص الذي اوردناه اعلاه ، فذكر عن البلاذري انه ترجم عهد اردشير بشعر ، وانه كان احد النقلة من الفارسي الى اللسان العربي ، [٢٣] وان جبلة بن سالم ترجم من الفارسية كتاب رستم واسفنديار وكتاب بهرام شوش [٢٤] ، وان ابا معشر كان « يحكى عن عبدالله بن يحيى ومحمد بن الجهم البرمكيين ويفضلهما في العلم . [٢٥]

وذكر ابن النديم ايضاً عمر بن الفرخان الطبري ،وقال انه ممن فسر المجسطي وانه فسر كتب ذوروثيوس [٢٦] كما فسر كتاب الاربعة لبطليموس « نقلها له البطريق ابو يحيى بن البطريق » وان له كتاب المحاسن وكتاب اتفاق الفلاسفة واختلافهم في خطوط الكواكب [٢٧] .

اما ابن المقفع فقد ذكر ابن النديم انه من بلغاء الناس العشرة [٢٨] ، وانه اخذ الفصاحة عن ابي الجاموس الاعرابي الذي كان يفد البصرة على آل سليمان بن علي [٢٩] وانه من الكتـــاب الشعراء [٣٠] ، ويقول ايضاً انه « كان احد النقلة من اللسان الفارسي الى العربي ، مضطلعاً باللغتين ، فصيح بهما ، وقد نقل عدة كتب من كتب الفرس : منها كتاب خداينامه في السير ، كتاب آيين نامه في الآيين ، كتاب كليلة ودمنة ، كتاب مزدك ، كتاب التاج في سيرة انوشروان ، كتاب الاداب الكبير يعرف بما قراجنس ، كتاب الادب الصغير ، كتاب اليتيمة في الرســائل ، كتاب رســائله ، كتاب جوامع كليلة ودمنة ، كتاب رسالته في الصحابة » [٣١] ويذكر في مكان آخر أن من الكتب المجمع على جودتها

(٢٢) الفهرست ٣٠٥
(٢٣) كذلك ١٢٥
(٢٤) كذلك ٣٦٤
(٢٥) كذلك ٣٧٦
(٢٦) كذلك ٣٢٧-٣٢٨
(٢٧) كذلك ٣٣٢
(٢٨) كذلك ١٤٠
(٢٩) كذلك ٥٠
(٣٠) كذلك ١٩١
(٣١) كذلك ١٣٢

عهد اردشير ، وكليلة ودمنـــة ، واليتيمة لابن المقفع [٣٢] ، وان ابن المقفع ممن كان يعمل الاسمار ، وان « كليلة ودمنة فسره عبدالله بن المقفع وغيره » « ولهذا الكتاب جوامع وانتزاعات عملها جماعة منهم ابن المقفع »[٣٣] .

ويذكر ابن النديم ايضاً « وقد كانت الفرس نقلت في القديم شيئاً من كتب المنطق والطب الى اللغة الفارسية ، فنقل ذلك الى العربي عبدالله بن المقفع ، وغيره[٣٤] (٣٠٣) وان لكتاب بارى ارميناس مختصرات منها واحد لإبن المقفع [٣٥] .

ولم يذكر ابن النديم شيئاً اضافياً عن ثمانية ممن عدهم من النقلة من الفارسية وهم علي بن زياد التميمي ، وموسى بن خالد ، ويوسف بن خالد ، وبهرام بن مردانشاه ، وزادويه بن شاهويه ، ومحمد بن بهرام بن مطيار ، وهشام بن القاسم . غير ان حمزة الاصفهاني يقول انه اتفق له ثماني نسخ من كتاب سير ملوك الفرس ، هي من نقل كل من ابن المقفع ، ومحمد بن الجهم ، وزادويه بن شاهويه الاصبهاني ، وهشام بن القاسم الاصبهاني ، وبهرام بن مردانشاه موبذ كورة شابور من بلاد فارس ، ومحمد بن بهرام بن مطيار الاصبهاني ، كما يذكر نسخة من تاريخ ملوك الفرس مستخرجة من خزانة المأمون [٣٦] .

ويذكر ابو علي محمد بن احمد البلخي الشاعر في الشاهنامه انه صحح اخباره من كتاب سير الملوك الذي لعبدالله بن المقفع ، والذي لمحمد بن الجهم البرمكي ، والذي لهشام بن القاسم ، والذي لبهرام بن مردانشاه موبذ مدينة سابور ، والذي لبهرام بن مهران الاصبهاني ، ثم قابل ذلك بما اورده بهرام الهروي المجوسي [٣٧] .

ويروي حمزة الاصبهاني « قال بهرام الموبذان جمعت نيفاً وعشرين نسخة

---

(٣٢) كذلك ٣٤٠ (٣٣) كذلك ٣٦٤

(٣٤) كذلك ٣٠٣ (٣٥) كذلك ٣٠٩

(٣٦) تاريخ سنى ملوك الأرض ١٤٣ (٣٧) الآثار الباقية في القرون الخالية ص ٩٩

من الكتاب المسمى خداي نامة حتى اصلحت منها تاريخ ملوك الفرس »[٣٨] . ومن الطبيعي ان النص لا يستلزم وجود نيف وعشرين ترجمة من خداينامه ، وانما يظهر تعدد نسخه واختلافاتها .

يبلغ عدد من ذكرهم ابن النديم من النقلة من الفارسية خمسة عشر، وهو عدد قليل اذا قورن باسماء من ذكرهم من النقلة من الاغريقية وعددهم خمسة واربعون[٣٩] علماً بان حركة النقل من الفارسية بدأت في زمن مبكر كما يتجلى من اسماء بعض المترجمين الذين توفوا في اوائل العصر العباسي ، ومنهم جبلة ابن سالم مولى هشام وعبدالله بن المقفع (ت ١٤٠) ، وعمر بن الفرخان ولم يضف حمزة الاصبهاني او ابو علي البلخي اسماء جديدة .

ذكر ابن النديم ان علي بن زياد التميمي ترجم زيج الشهريار ، وان البلاذري نقل عهد اردشير . ولم يذكر ما نقله موسى ويوسف ابن خالد .

ويلاحظ ان كلاً من اسحاق بن يزيد ، وجبلة بن سالم ، وابن المقفع وزادويه بن شاهويه ، ومحمد بن الجهم البرمكي ، ومحمد بن بهرام بن مطيار ، وبهرام بن مردانشاه ، نقل كتاب خداينامه ، وان ترجماتهم متباينة ، علماً باننا لا نعلم فيما اذا كان التباين راجعاً الى اختلاف الاصول التي نقلوا عنها، ام الى اختلافهم في دقة النقل . ويتبين من كلام حمزة[٤٠] ان ثلاثة من هؤلاء النقلة منسوبون الى اصفهان ؛ وهم زادويه بن شاهويه ، وهشام بن القاسم ، ومحمد ابن بهرام بن مطيار ، ويضيف البلخي اليهم بهرام بن مهران، مما يدل على اهمية اصبهان في الحركة الفكرية . ولم يذكر الخطيب اياً من هؤلاء فيمن ذكرهم في تاريخ بغداد .

ان اقتصار عمل سبعة من مجموع الخمسة عشر على نقل كتاب خداينامه يظهر ان عدد النقلة لبقية العلوم كان قليلاً جداً .

(٣٨) تاريخ سنى ملوك الأرض ٢٦ (٣٩) الفهرست ٣٠٥
(٤٠) تاريخ سنى ملوك الأرض ١٤

ويتبين من كلام ابن النديم ان بعض النقلة كان يعمل لعدد من اصحاب السلطة فموسى ويوسف ابنا خالد كانا يخدمان داود بن عبدالله بن حميد بن قحطبة الذي لم يذكره الطبري ولا المسعودي .

الكتب المنقولة عن الفارسية :

لم يذكر ابن النديم لمعظم النقلة اكثر من كتاب واحد ، ويلاحظ ان سبعة من مجموع الخمسة عشر لم يذكر انهم نقلوا غير كتاب خداينامه ،وهو المسمى بالعربية تاريخ ، أو سير ، ملوك الفرس ؛ وهو كتاب لم تصلنا منه نسخة كاملة ، ولكن وصلتنا منه نقول طويلة رواها عدد من المؤرخين العرب وخاصة الطبري في كتابه « تاريخ الامم والملوك » والثعالبي في « غرر سير ملوك الفرس والعجم » ، فضلاً عن نصوص قصيرة نقلها عنه عدد من المؤرخين كالمسعودي واليعقوبي وحمزة الاصفهاني . وكانت هذه النقول هي المعتمد الرئيسي لمن كتب عن الساسانيين وقد قام المستشرق الالماني ثيودور نولدكه بترجمة ما اورده الطبري الى الالمانية مع تعليقات وافية قارن فيها معلوماته بما ورد في كتب الامم الاخرى ككتب الروم والسريان والارمن ووجد ان معلومات خداي نامه صحيحة وخالية من الاساطير . غير ان هذا الكتاب يبحث في التاريخ السياسي ولا يتطرق الى الجوانب العلمية .

يذكر ابن النديم ان ابن المقفع « نقل عدة كتب من كتب الفرس ، منها كتاب خداينامه في السير ، كتاب آيين نامه في الآيين ، كتاب كليلة ودمنه ، كتاب مزدك ، كتاب التاج في سيرة انوشروان ، كتاب الاداب الكبير ويعرف بماقراجنس ، كتاب الادب الصغير ، كتاب اليتيمة في الرسائل ، كتاب رسائله ، كتاب جوامع كليله ودمنه ، كتاب رسالة في الصحابة »[٤١] وذكر في مكان آخر ان من الكتب المجمع على جودتها هي عهد اردشير ، كليلة ودمنه ، اليتيمة لابن المقفع[٤٢] وذكر في مكان آخر ان جبلة بن

(٤١) الفهرست ١٣٢ (٤٢) كذلك ١٤٠

سالم ترجم كتاب رستم واسفنديار ، وكتاب بهرام شوش [٤٣]

فاما كايلة ودمنه فهو كتاب هندي ترجم الى الفارسية في زمن انوشروان، ثم ترجمه ابن المقفع الى العربية مع بعض الاضافات .

اما الآيين فهي القواعد التعايمية في فن من الفنون، وقد ذكر ما الفه الفرس فيها كـل من ابن النديم [٤٤] والمسعودي [٤٥] . واما كتاب التـاج فيشبه الآيين في محتواه ومنه نقول في عيون الاخبار لابن قتيبة ،والسعادة والاسعاد للعامري وقد قام محمد محمدي في كتابه « الترجمة والنقل من الفارسية بدراسة مفصلة عن هذه الكتب ، وكتب العهود ، ونقلها الى العربية .

الطب :

اما عن ميدان العلوم الصرفة والطبيعية فقد وردت اشارات غير قليلة : فقد ذكر المسعودي « وجدت عند بعض اهل البيوتات المشرفة من الفرس كتاباً عظيماً يشتمل على علوم كثيرة من علومهم واخبار ملوكهم وابنيتهم وسياساتهم لم اجدها في شيء من كتب الفرس كخداي نامه وآيين نامه وكهنامه،وكان تاريخ هذا الكتاب انه كتب مما وجد في خزائن ملوك فارس للنصف من جمادى الآخرة سنة ١١٣هـ ونقل لهشام بن عبدالملك بن مروان من الفارسية الى العربية » [٤٦] ان هذا النص يظهر قدم النقل من الفارسية ،ولكنه لم يذكر عنوان الكتاب او مؤلفه او ناقله او العلوم التي ذكرها . ولم نجد اشارات في الكتب الاخرى الى هذا الكتاب .

ويقول المسعودي ان عمر المعروف بالكسروي ممن اشتهر بعلم فارس واخبارها [٤٧] ، وان له كتاباً في اخبار الفرس يصف طبقات ملوكهم من

---

(٤٣) كذلك ٣٦٤

(٤٤) كذلك ٣٦٤ ، ٣٧٦ – ٣٧٧

(٤٥) التنبيه والاشراف ٩٢

(٤٦) التنبيه والاشراف ٩٢

(٤٧) مروج الذهب ٢٤٩/١

سلف وخلف واخبارهم [٤٨] ، ونقل المسعودي عن عمر الكسروي نصوصاً برواية ابي عبيدة ، وهي تتعلق بتنظيمات الفرس الاجتماعية والادارية ، ولم يتطرق الى اعمالهم من العلوم ، ويستدل من رواية ابي عبيدة عن عمر ان الاخير عاش في القرن الثاني الهجري .

ويقول ابن النديم « وقد كانت الفرس نقلت في القديم شيئاً من كتب المنطق والطب الى اللغة الفارسية ، فنقل ذلك الى العربي عبدالله بن المقفع وغيره [٤٩] وذكر ابن النديم في مكان آخر ما نقله ابن المقفع من الفارسية وليس فيها كتاب في المنطق او الطب [٥٠] غير انه ذكر ان ابن المقفع اختصر كتاب باري ارميناس [٥١] .

ويذكر ابن النديم « اسماء كتب الفرس في الطب المشهورين بالطب في ايام ملوك الاعاجم ممن وصل الينا تأليفه ونقل الى العربي ثيادورس وكان نصرانياً ، وبنى له سابور ذو الاكتاف البيع في بلده ، ونقل له الى العربي كناش ثيودورس » [٥٢] .

ويذكر الاصطخري ان برزويه ، وهو من اهل مرو ، كان « مقدماً على سائر اطباء العجم » [٥٣] ولكن لم يصلنا أي كتاب له .

ومن الطبيعي اننا لا ندخل في هذه الدراسة اطباء جند يسابور لانهم كانوا يكتبون بالسريانية .

التنجيم والمواليد:

يقول صاعد « ومن خواص الفرس عناية بالغة بصناعة الطب ، ومعرفة ثاقبة باحكام النجوم وتأثيرها في العالم السفلي ، وكانت لهم ارصاد للكواكب

---

(٤٨) كذلك ١/٢٥٨ (٤٩) الفهرست ٣٣
(٥٠) كذلك ١٣٢ (٥١) كذلك ١٣٢
(٥٢) كذلك ٣٦٠ ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء ٤١٣ ويلاحظ انه لم يذكر غيره من الاطباء الفرس القدامى . (٥٣) المسالك ٢٦٢

قديمة ، ومذاهب في حركاتها مختلفة » (٥٤) ؛ والواقع ان الكتب عن تاريخ الملوك الساسانيين تذكر بصراحة عناية كثير من الملوك بالتنجيم (٥٥) .

ومما يتصل بذلك مانقله المسعودي عن محمد بن علي العبدي حيث ذكر ان المأمون «كان في بدء امره ،لما غلب عليه الفضل بن سهل وغيره ، يستعمل النظر في احكام النجوم وقضاياها وينقاد الى موجباتها ، ويذهب مذاهب من سلف من ملوك ساسان كأردشير بن باباك وغيره ،واجتهد في قراءة الكتب القديمة وامعن في درسها وواظب على قراءتها ، فافتن في فهمها ، وبلغ درايتها ، فلما كان من الفضل بن سهل ذي الرئاستين ماشتهر وقدم العراق انصرف عن ذلك كله» (٥٦)

والواقع ان الاعتقاد بالتنجيم قديم عند العرب (٥٧) ؛ غير ان المنصور « كان اول خليفة قرَّب المنجمين وعمل باحكام النجوم ، وكان معه نوبخت المجوسي المنجم ، واسلم على يديه ، وهو ابو هؤلاء النوبختية ، وابراهيم الفزاري صاحب القصيدة في النجوم ، وغير ذلك من علوم النجوم وهيئة الفلك ، وعلى ابن عيسى الاسطرلابي ، وهو اول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية الى العربية ، منها كتاب كليلة ودمنه ، وكتاب السند هند ، . . وسائر الكتب القديمة من اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية والسريانية واخرجت الى الناس .

وذكر ابن النديم من الكتب « زجر الفرس ، والفال لأهل فارس ، والاختلاج على ثلاثة اوجه لفارس (٥٨) « والمواعظ للفرس » (٥٩) ولكنه لم يذكر محتواها ومترجميها .

ذكر ابن النديم في القائمة التي اوردها عن النقلة من الفارسية ، اسماء اشخاص

---

(٥٤) طبقات الامم ١٦

(٥٥) انظر كتاب : الترجمة والنقل من الفارسية لمحمدي ١٩٨–٢٠٨ ؛ رسل الملوك للفراء ١٢٣

(٥٦) مروج الذهب ٤/٢٢٧ ؛ وانظر ايضاً مشاكلة الناس لزمانهم : لليعقوبي ٢٧–٢٨

(٥٧) انظر : نالينو تاريخ علم الفلك .

(٥٨) الفهرست ٣٧٦ (٥٩) كذلك ٣٧٧

لهم علاقة بالتنجيم ، ومنهم عمر بن الفرُّخان ، وابو سهل الفضل بن نوبخت وعلي بن زياد التميمي .

فاما عمر بن الفرّخان الطبري ، فقد كان احد المنجمين الذين عيّنوا وقت بناء بغداد (البلدان لليعقوبي ؛ ويذكر ابن النديم انه فسّر كتاب الاربعة لبطليموس ، وكان البطريق قد نقله له [٦٠] ، والّف كتاب «المحاسن » و « اتفاق الفلاسفة واختلافهم في السنين » [٦١] (٣٣٢) وفسر كتاب المجسطي [٦٢] (٣٢٧) وكتب ذورشيوس [٦٣] (٣٢٨) ومن الواضح ان ابن النديم لم يذكر اسم الكتب التي ترجمها عن الفارسية ، وان كثيراً من عمله كان تفسيراً لكتب اغريقية ترجمت له . اما الكتابين اللذين الفهما فلم يصلا الينا ، ولا نعلم من نقل عنهما ، ولذا لايمكن الجزم بما ترجَم عن الفارسية .

ويذكر ابن النديم ان محمد بن عمر بن الفرُخان « أحد افاضل المنجمين وله من الكتب : كتاب المقياس ، كتاب المواليد ، كتاب العمل بالاصطرلاب ، كتاب المسائل ، كتاب المدخل ، كتاب الاختيارات ، كتاب المسائل الكبير ، كتاب تحويل سنى المواليد ، كتاب التسييرات ، كتاب الميالات ، كتاب تحويل سنى العالم ، كتاب التسييرات في المواليد » [٦٤] (٣٣٢ــ ٣) ويلاحظ ان اربعة من هذه الكتب متصلة في مادتها بالمواليد والتسييرات ، وان اثنين منها له عنوان « المسائل » واثنين بتحاويل السنين ويبقى كتاب « المقياس » و «العمل بالاصطرلاب » ، و « المدخل» ولا يذكر ابن النديم انها مما نقل عن الفارسية .

فاما كتاب المسائل فمنه نسخ في برلين ٥٨٧٨ ، ٥٨٧٩ وفي جستربتى ٤٠٨١ وفي الاسكوريال ٩٢٢ وباريس ٢٦٠٠ والقاهرة ٥ــ٣١٦ وقد ترجم الى اللاتينية .

واما كتاب المواليد فمنه نسخة مخطوطة في الاوقاف (الجبوري : المستدرك

---

(٦٠) الفهرست ٣٢٨
(٦١) كذلك ٣٣٢
(٦٢) كذلك ٣٢٧
(٦٣) كذلك ٣٢٨
(٦٤) كذلك ٣٣٢ــ٣

٣٨٦ وهو ثلاث مقالات نقل فيه عن بطليموس ، ودوروثيوس ، وماشاالله ، وهرمس ونقل منه القصراني (المسائل ٢٩٤) وابن الحاسب(المواليد ١٢٠) ٢٠–١٢٢–٢٢٧–٢٣٣–٢٣٧–٢٥٢–٢٥٣–٢٥٩–٢٦١ مخطوطة البودليان مارش ٦١٨ ، [٦٥] وانظر اولمان ٢٠٦–٧ .

اما ابو سهل الفضل بن نوبخت ، فان اباه كان من المنجمين الذين شاركوا في تعيين وقت بناء بغداد [٦٦] ؛ ويذكر ابن النديم « انه كان في خزانة الحكمة لهارون الرشيد ، وله نقل من الفارسي الى العربي ، معوّل في علمه على كتب الفرس ، له من الكتب كتاب النهطمان في المواليد ، والفال النجومي ، والمواليد ، وتحويل سني المواليد ، والمدخل ، والتشبيه والتمثيل ، والمنتحل من اقاويل المنجمين في الاخبار والمسائل والمواليد [٦٧] ، وقد نقل عن كتاب النهطمان نصاً عن خزن علوم الفرس في جيّ [٦٨] ، كما نقل عن هذا الكتاب ابن ابي الرجال في كتاب « البارع » (ص ٧٤ ـ ٨٠ ـ ٩٢ ـ ٩٧ ـ ١٠١ ـ ١٢١ ـ ٢٣٢ ـ ٢٣٩ـ٢٤٩ . غير انه لم يذكر اسم كتاب نقله الفضل عن الفارسية .

الازياج :

ذكرنا ان ابن النديم في الفصل الذي عنوانه « اسماء النقلة من الفارسي الى العربي ذكر « التميمي» ، واسمه علي بن زياد ، ويكنى ابا الحسن ، نقل من الفارسي الى العربي ، فمما نقل زيج الشهريار » [٦٩] ولم نجد في المصادر معلومات عن علي بن زياد التميمي اوذكر له،ولكن توجد معلومات وافية عن زيج الشهريار الذي يسمى ايضاً ، « زيج الشاه » ، وهو الزيج الذي يقول ابو معشر المنجم انه « الذي يعمل عليه اصحاب الحساب ويقول ابن رسته انه

---

(٦٥) انظر : اولمان . تاريخ العلوم عند العرب (بالالمانية ٢٠٦–٧)
(٦٦) البلدان (٦٧) الفهرست ٣٣٣
(٦٨) كذلك ٢٩٩–٣٠٠ (٦٩) الفهرست ٣٠٥

« الزيج الذي قد اعتمده اهل الارض عامة ، واهل ايرانشهر خاصة ، واولم يسلم ذلك في هذا الوضع من الطوفان بحيث اختير له واودع لطال على اصحاب الحساب ان يقوموا ، فليس كلّ يقدر على الرصد » [٧٠] وكان اصله محفوظاً في جيّ [٧١] ، وقد اعتمد عليه ابو معشر الفلكي [٧٢] واطلق عليه حبش زيج الشاه [٧٣] واشار اليه المسعودي [٧٤] . ويقول نالينو ان هذا الزيج الف في زمن يزدجرد الثالث (٥١١) ، وانه مبني على قواعد واصول اغلبها هندية ، وقد فصّل نالينو في هذا الزيج واهميته [٧٥] .

ذكرنا ان صاعد قال « ومن خواص الفرس عناية بالغة بصناعة الطب ، ومعرفة ثابتة باحكام النجوم وتأثيرها في العالم السفلي ، وكانت لهم ارصاد للكواكب قديمة ، ومذاهب في حركاتها مختلفة ، فمن ذلك المذهب الذي الف عليه ابو معشر جعفر بن محمد البلخي زيجه الكبير ، وذكر انه مذهب العلماء المتقدمين من اهل فارس وكثير من علماء سائر النواحي . . . والفرس كتب جليلة في احكام النجوم منها كتاب في صور درجات الفلك ينسب الى زرادشت ، وكتاب جاماسب [٧٦] .

فاما جاماسب فان طاشكبري زاده يسميه الحكيم ، ويعتبر ان كتابه في القرانات هو احد الكتابين المهمين في التنجيم [٧٧] ؛ وفي المكتبة الوطنية بباريس مخطوطة في القرانات تنسب اليه (رقم ٩٠٨ فارسي) ، ويذكر اولمان ان معلوماته مستمدة من مصادر اغريقية وهندية [٧٨] (العلوم ١٨٣) ويقول نالينو ان جاماسب من الاشخاص الوهميين الذين جرت فيهم الخرافات في كتب تاريخ الفرس

(٧٠) الاعلاق النفيسة ١٦٢ ؛ وانظر حمزة الاصبهاني ٥٠ .
(٧١) الاعلاق النفيسة ١٧٢ .
(٧٢) القفطي أخبار الحكماء ١٧٠
(٧٣) التنبيه والاشراف ١٨٩ .
(٧٤) البيروني تحقيق ماللهند ١٥٧ .
(٧٥) تاريخ علم الفلك ١٨٦ .
(٧٦) طبقات الامم ١٦
(٧٧) مفتاح السعادة ٣٢٣/١
(٧٨) تاريخ العلوم ١٨٣ .

القدماء ، فقيل انه كان وزير الملك كشتاسب من الدولة الكيانية التي تولت الملك قبل دارا ، ولكن اذا اطلعنا على تلك الكتب المنسوبة الى جاماسب وجدنا انها باسرها من اقبح المختلقات وضعها الكذابون من المنجمين بعد ظهور الاسلام باجيال عديدة [٧٩] والواقع ان المصادر لا تذكر اسم من ترجم كتاب جاماسب او زمن ترجمته وفي الامبروزيانا مخطوط بعنوان « طراز الدهر في اسرار الخلق والامر في احكام جاماسب على القرانات العلوية لمحمد بن بكر الفارسي .

يقول ابن النديم ان بزرجمهر له كتاب « البزيدج » او « الابريدج » ومعناه « المختار » [٨٠] ولبزرجمهر مكانة في المؤلفات العربية ، وكان وزير انوشروان . وقد وردت اشارات لكتاب بزرجمهر في عدد من الكتب النجومية ، وممن ذكره ابن هبنتا في كتابه المغنى (ص ١٥ ، ١٨ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ١٠٧ ، ١٢٢) ولمح اليه البيروني في كتابه تحقيق ما للهند (٧٥) ونقل عنه ابن ابي الرجال في كتابه البارع ، كما نقل عنه الصيمري في كتاب الاصل (١٧-٣١-٣٤ ٣٦ ٦٦) والبصري في السفينة ٦٦ وان العربي في جنس الابدار .

ان كتاب بزرجمهر « البزيدج » معناه المختار ، وقد ذكر ابن النديم ان أصله لفاليس ، وان بزرجمهر ترجمه الى البهلوية [٨١] وهذا واضح من مقارنة نصوص الكتاب المنسوب لبزرجمهر بكتاب فاليس . ولم تذكر المصادر زمن او تاريخ ترجمة الكتاب الى العربية ، ولا اسم مترجمه .

وممن ذكرت المصادر العربية مؤلفاتهم في المواليد هو الاندرزغر بن زادا نفروخ ، فقد نقل عن كتابه في المواليد كل من ابن الحاسب (ص ١٢٧ ، ١٨٣) وعمران بن احمد (١٧٦ — ١٧٨) والفاسي في كتابه المدخل الى صناعة النجوم.

(٧٩) تاريخ علم الفلك ٢١٣ .
(٨٠) الفهرست ٣٢٨ القفطي ٢٦١
(٨١) للفهرست ٣٢٨ .

والمعلومات المتوفرة عن المؤلف قليلة ، فان الطبري ذكر الاندرزغر من قواد الفرس الذين قاتلوا العرب عندما تقدموا لفتح العراق .

اما زادا نفروخ فالمشهور بهذا الاسم فارسي اشتهر في العراق ، وكان كاتباً لزياد ، ثم للحجاج بن يوسف [٨٢] ، غير انه يصعب الجزم بان الاندرزغر القائد هو ابن زادا نفروخ الكاتب ، او انه هو نفس مؤلف كتاب المواليد الذي لم يصلنا ولم تذكر المصادر مترجمه من الفارسية ، وان كان القبيصي يشير الى ان الاندرزغر اطرى في كتابه تصنيف فاليس الرومي [٨٣]

وفي علم النجوم نصوص في الكتب العربية تنسب الى زرادشت الذي ينسب له ايضاً كتاب في المواليد ، منه مخطوطة في الاسكوريال (٩٣٩ ــ٤) وفي نور عثمانية ٢٨٠ ، وقد نقل منه ابن ابي الرجال في كتاب البارع (ص ١١٨ ــ ١١٩ ، ١٧٠) .

الطب في كتب الزرادشتية :

نقلت عدة مصادر نصوصاً منسوبة الى زرادشت ، وممن نقل ابو معشر في كتابه « صور درجات الفلك » ، والسجزي في « الجامع الشاهي » والبصري في « سفينة الاحكام »، كما نقل عنه يحيى بن محمد الحلبي منجم قليج ارسلان في كتاب القرانات ص ٥٦ ــ ١٠٥(مخطوطة باريس ٢٤٨٧) (انظر اولمان ٢٩٤ ــ ٥)

ظهر زرادشت في اواخر القرن السادس قبل الميلاد ، ودعا الى دين اعتنقه دارا ملك الاخامينيين ، فانتشر الدين في زمنهم وكان كتابهم المقدس يسمى الافستا ، وصفه المسعودي بقوله « وجاء زرادشت بالكتاب المعروف بالابستا . وعدد سوره احدى وعشرون سورة ، كل سورة في مائتين من الاوراق ،

(٨٢) الوزراء والكتاب للجهشياري ٣٨، ٣٩ .
(٨٣) نالينو تاريخ علم الفلك ٢١١-١١٣ .

وعدد حروفه واصواته ستون حرفاً وصوتاً ، لكل حرف وصوت صورة مفردة منها حروف تتكرر وحروف تسقط ، اذ ليست خاصة بلسان الابستا ، وزرادشت احدث هذا الخط ، والمجوس تسميه دين دبيره ، اي كتابة الدين ، وكُتب في اثنى عشر الف جلد ثور بقضبان الذهب حفراً باللغة الفارسية الالى ، ولا يعلم احد اليوم معنى تلك اللغة ، وانما نقل لهم الى هذه الفارسية شيء من السور فهي في ايديهم يقرأونها في صلواتهم كاشتاذ ، وجتة وجترشت ، وبانيست ، وهـا دوحت وغيرها من السور ، في جترشت الخبر عن مبـدأ العالم ومنتهاه ، وفي ها دوحت مواعظ .

وعمل زرادشت للابستا شرحاً سماه الزند ، وهو عندهم كلام الرب المنزل على زرادشت ، ثم ترجمه زرادشت من لغة الفهلوية الى الفارسية .

ثم عمل زرادشت للزند شرحاً سماه بازند ، وعملت العلماء من المزابذة والهرابذة لذلك الشرح شرحاً سموه بارده ، ومنهم من يسميه اكرده ، فاحرقه الاسكندر لما غلب على ملك فارس وقتل دارا بن دارا [٨٤] .

ولما ولى الساسانيون الحكم تبنوا الزرادشتية ديناً رسمياً لهم ، فأمر اردشير الاول رئيس الهرابذة تنسر بجمع النصوص المبعثرة من الابستا . وتوحيدها بنص واحد ، ثم امر شابور الاول بن اردشير فادخلت في هذا النص معلومات في الطب والنجوم وما وراء الطبيعة اخذت من اصول اغريقية وهندية .

غير أن النصوص المضافة اثارت نقاشاً طويلاً ، فأمر سابور الثاني بعقـد مجمـع حدد نهائياً نص الافستا وقسمه الى واحد وعشرين كتاباً (نسك) ، وظل هذا الكتاب مستعملاً في العهد الساساني ، غير ان كثيراً من أقسامه ضاعت في العصر الإسلامي ، فلم يبق منها اليوم الا اقلها ، وهي مختصر في كتاب

(٨٤) التنبيه والاشراف ٨٠ .

الدينكرد غير متناسبة الاجزاء ، ففي بعض اجزائها ، وخاصة ما يتعلق بالفقه تفاصيل واسعة ، اما الاجزاء الاخرى ، وخاصة ما يتناول المبدأ والمعاد ، فهي ملخصة في بضع كلمات .

ويدل ما ورد في كتاب الدينكرد ان الافستا الساسانية لم تكن قاصرة على نصوص العبادة ، وانما كانت تشمل علوماً اخرى ، بما فيها علوم المبدأ والمعاد ، واساطير الاولين ، والنجوم ، وعلم التكوين ، والعلوم الطبيعية والتشريع والحكمة [٨٥] .

وفي الافستا فصول عن دورة الدنيا ،وعن السنة ، والتقاويم ، وفيها قوائم باسماء الملوك نقلها البيروني اعتماداً على كتاب حمزة الاصفهاني في كتابه « تواريخ كبار الامم ، من مضى منهم ومن غبر » والذي صحح القوائم على نسخة الموبذ»[٨٦]

مراكز الزرادشتية في زمن الاسلام :

لم تذكر المصادر مراكز الحركة الفكرية في العصر الساساني ، او مراكز الدراسات الزرادشتية في العهود الاسلامية .

غير ان المصادر ذكرت الاماكن التي يكثر فيها وجود الزرادشتيين ، او معابد النيران في العهود الاسلامية ، فاما الزرادشتيون ، وهم يسمون في المصادر العربية « المجوس فقد ذكر المقدسي ان منهم عدداً في العراق[٨٧] وأن اقليم الجبال « المجوس به كثير » [٨٨] وأن فارس « المجوس به اكثر من اليهود » [٨٩] .

---

(٨٥) انظر كرستنسن : ايران في عهد الساسانيين ١٣٠-١٣٢ والملحق الاول في الكتاب .
(٨٦) الآثار الباقية ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣١ .
(٨٧) احسن التقاسيم ١٢٦ .
(٨٨) كذلك ٣٩٤
(٨٩) كذلك ٤٣٩

وذكر الاصطخري ان في فارس « المجوس اكثر ملل اهل الكتاب بها»[٩٠] وان « قلعة الجص بناحية ارّجان فيها مجوس وبادكذارات الفرس وايامهم تتدارس فيها [٩١] ويقول أيضاً عن اقليم فارس ان « المجوس وهم الغالبون على سائر الملل في الكثرة ، ثم النصارى ، ثم اليهود اقلهم ، فاما كتب المجوس وبيوت نيرانهم واديانهم وما كانوا عليه ايام ملوكهم فانهم يتوارثونه ، وذلك في ايديهم ، ويتدينون به ، وليس المجوس ببلد اكثر منهم بفارس ، لان بها دار ملكهم واديانهم وكتبهم [٩٢] ؛ ويلاحظ ان الاصطخري يذكر ان اكثر الكتّاب البارزين في الاسلام من اقليم فارس ، وقد عدّد منهم عبدالحميد بن يحيى ، وابن المقفع وسيبويه ، ذكر انهم « شحنة دواوين الخلافة والعمال الذين بهم قوام السياسة ، فمن الوزراء وسائر عمال الدواوين ، فمنهم البرامكة ، والى ذي الرئاستين والى يومنا هذا من المادررئيين والفيريابيين ، وسائر شحنة الخلافة من اولاد الفرس انتقلوا الى السواد في ايام الاكاسرة فاقاموا في ارض النبط [٩٣] ، ثم ذكر البارزين في الكتابة في اقليم فارس . ولا ريب في ان اشارة الاصطخري مهمة في كون فارس احد مراكز الحركة الفكرية ، غير ان عدم ذكره غيرها لا يعني انها كانت المركز الوحيد ، وانما تظهر تعصبه للاقليم .

ولعل اصفهان كانت من المراكز المهمة في الحركة الفكرية الفارسية ، فقد اشرنا من قبل الى المكتبة التي كشفت في جيّ ، والى ان ثلاثة من ناقلي كتاب خداي نامه كانوا منسوبين الى اصبهان .

ومما قد يعطى دلالة على مراكز الحركة الفكرية الفارسية ، هي بيوت النيران المعظمة عندهم ؛ وقد ذكر الاصطخري والمسعودي بعضها .

---

(٩٠) المسالك ١٠٠
(٩١) كذلك ١١٨
(٩٢) كذلك ١٣٩ .
(٩٣) كذلك ١٤٥-١٤٦ .

فاما الاصطخري فذكر تفاصيل عن وجودها في اقليم فارس ، حيث قال « واما بيوت نيرانها فانها لا تخلو ناحية ولا مدينة بفارس الا القليل من بيوت النيران [٩٣] (١٠٠) وقال « واما بيوت نيران فارس فتكثر عن احصائي وحفظي ليس من بلد ولا رستاق ولا ناحية الا وبها عدد كبير من بيوت النيران الا القليل غير ان المشاهير التي تفضل على غيرها في التنظيم منها :

بيت نار الكاريان ويعرف ببارنوا

وبيوت نار بخرّة ينسب الى دارا ابن دارا ، وبه يحلف المجوس في المبالغة بايمانهم ،وبيت نار عند بركة جور ، ويسمى بارين ، وحدثني من رأى به قد كتب عليه بالفهلوية انه انفق عليه ثلاثون الف درهم .

وبيت نار على باب سابور ، يعرف بشبر خشين .

وبيت نار بباب سابور ايضاً على باب سلسان يعرف بجنبد كاوسر .

وبكازرون بيت نار يعرف بجفته .

وبكازرون ايضاً بيت نار يعرف بكلازن .

وبشيراز ايضاً بيت نار يعرف بالعارنيان .

وبشيراز بيت نار آخر ويعرف بهرمز .

وعلى باب شيراز بقربه يعرف بالبركان بيت نار يعرف بالسويان(١١٨)[٩٥].

ويقول المسعودي عن النار ان اول من عظمها افريدون الملك « وان فريدون امر بحمل تلك النار الى خراسان فاتخذ لها بيتاً بطوس ، واتخذ بيتاً آخر بمدينة بخارا يقال له برد سوره .

وبيت آخر من بيوت النار بسجستان يقال له كراكركان اتخذه بهمن ابن اسفنديار بن بشتاسف .

وبيت آخر ببلاد الشيز والران ، وكان فيه اصنام فاخرجها انو شروان ،

---

(٩٤) المسالك ١٠٠

(٩٥) كذلك ١١٨

وقيل ان انو شروان صادف هذا البيت وفيه نار معظمة فنقلها الى الموضع المعروف بالبركة .

وبيت آخر للنار يقال له كوسجه بناه كيخسرو الملك .

وقد كان بقومس بيت للنار معظم لايدرى من بناه يقال له جريش . .

وبيت آخر يسمى كتخذه بناه سياوخش بن كاوس الجيار . . .

وبيت نار بمدينة ارّجان من ارض فارس اتخذ من ايام بهراسف . وهذه البيوت العشرة كانت قبل ظهور زرادشت بن اسبيحان نبي المجوس ثم اتخذ زرادشت بن اسبيحان بعد ذلك بيوت النيران ، وكان مما اتخذه بيت بمدينة نيسابور من بلاد خراسان .

وبيت آخر بمدينة نسا والبيضاء من ارض فارس .

وكانت في خوارزم نار فنقلها يشتاسف الى مدينة دارابحرد من ارض فارس وكورها بهذا البيت ،وهذه النار تسمى في وقتنا هذا وهو سنة ٣٣٢ هـ اذرجوس . . . والمجوس تعظم هذه النار مالا تعظم غيرها من النيران والبيوت . . ونقل انو شروان ناراً بخوارزم الى الكاريان ، ثم نقل المجوس بعضها الى نسا والبيضاء .

وللفرس بيت نار باصطخر خرب بعد دخول الاسلام .

وفي مدينة ســابور من ارض فارس بيت للنار معظم عندهم اتخذه دارا بن دارا وفي مدينة جور بيت نار بناه اردشير بن بابك وهو على ساعة منها

وقد كان اردشير بنى بيتاً آخر يقال له بارنوا في اليوم الثاني من غلبته على فارس وبيت نار على خليج القسطنطينية من بلاد الروم بناه سابور بن اردشير . .

وبأرض العراق بيت للنار بالقرب من مدينة السلام بنته بوران بنت كسرى ابرويز الملكة في الموضع المعروف باستينيا .

وبيوت النار كثيرة مما بنته المجوس بالعراق وارض فارس وكرمان وسجستان وخراسان وطبرستان والجبال واذربيجان والران ، وفي الهند والسند والصين اعرضنا عن ذكرها ، وانما ذكرنا مااشتهر منها[٩٦] .

ويذكر ابن الفقيه ان في رستاق الفروهان قرب همدان « قرية يقال لها الفردجان ، وفيها بيت نار عتيق ، وهي احد النيران التي غلت فيها المجوس مثل نار اذرخرّه ونارجم الشيد ، وهي الاولى ، ونارماجشنسف ، وهي نار كيخسرو. وكان المجوس غلت في هذه النيران الثلاث غلواً لاتضبطه العقول . . واما نار جم الشيد فهي اذرخرة كانت بخوارزم فنقلها انو شروان الى الكاريان فلما ملكت العرب خافت المجوس ان تطفأ فصيروها جزءين ، جزء بالكاريان ، وجزء حمل الى فسا وقالوا ان طفئت واحدة بقيت الاخرى .

واما اذرجشنسف نار كيخسرو فانها كانت بأذربيجان فنقلها انو شروان الى الشيز .

واما نار زردهشت فهي بناحية نيسابور ، ولم تحوّل ، وهي احد الاصول من نيرانهم ... الىان كان في سنة ٢٨٢هـ فصار اليها برون التركي وكان يتولى قم ، فنصب عليها المجانيق والعرادات حتى افتتحها وأخرب سور القرية وقلع البيت وأطفأ النار وحمل الكانون الى مدينة قم وبطلت النار » [٩٧] .

ويقول ايضاً « وأرمية مدينة زردشت والشيز ، وبها بيت اذرجشنس ، وهو عظيم القدر عند المجوس [٩٨] (٢٨٦) ويقول المسعودي ان ملوك الفرس كانوا يذهبون الى هـذه النار عنـد التتويج [٩٩] ويذكر الطبرى ان بهرام الرابع « نحل بيت مال الشيز ماكان في اكليل خاقان من اليواقيت والجوهر وسيفاً كان لخاقان مفصصاً بدر وجوهر وحلية كثيرة » [١٠٠] .

(٩٦) مروج الذهب ٢/٤٢ ٢ – ٢٤٩ .
(٩٧) مختصر كتاب البلدان ٢٤٦ .
(٩٨) كذلك ٢٨٦
(٩٩) التنبيه والاشراف ٨٣
(١٠٠) الطبري ١/٨٦٦

ويقول الطبري عند كلامه عن مهرنرسي الذي صيّره بهرام جور هربذ هربذان ، انه بنى في « قرية ابروان من رستاق دشتبارين من كورة اردشير خره ، وفي جره من كورة سابور لاتصال ذلك ، ودستبارين ، ابنية رفيعة ، واتخذ فيها بيت نار هو باق فيما ذكر الى اليوم ، وناره توقد الى هذه الغاية يقال لها من نرسيان : واتخذ بالقرب من ايروان اربع قرى ، وجعل في كل واحدة منها بيت نار ، فجعل واحداً منها لنفسه وسماه فرازمرا اورخذايان ، وتفسير ذلك : أقبلي اليّ سيدتي ، على وجه التعظيم للنار ، وجعل الآخر لزراوندان وسماه زرا وندادان ، والآخر لكارد وسماه كارداذان ، والآخر لماجشنس وسماه ماجشنسان ، واتخذ في هذه الناحية ثلاث باغات ، جعل في باغ منها ١٢ ألف نخلة ، وفي باغ ١٢ ألف اصل زيتون ، وفي باغ ٢ ألف سروة . ولم تزل هذه القرى والباغات وبيوت النيران في يد قوم من ولده معروفين الى اليوم ، وان ذلك فيما ذكر الى اليوم باق على احسن حالاته »[١٠١] .

يتبين مما تقدم ان بيوت النيران كانت منتشرة في اماكن كثيرة من الهضبة الايرانية والمفروض ان يكون في بيوت النيران هرابذة لخدمة بيت النار . ولا يشترط ان يكون فيها موابذة او علماء ، ولا توجد اشارة الى ان بيوت النيران كانت مركزاً لحركة فكرية .

المانوية والعلم

وكانت المانوية من الاديان التي انتشرت في عهد الساسانيين رغم اضطهاد الملوك لها ؛ ذلك الاضطهاد الذي حمل معظم اتباعها على اللجوء الى الاطراف الشرقية من الدولة ، والى بلاد الصغد ، فلما ظهر الإسلام وتكونت دولته زال عنهم الاضطهاد ، فنشطوا ونقل فريق منهم مركزه الى بابل في زمن ولاية خالد بن عبدالله القسري ، وكان لهم في بابل رؤساء متتابعون[١٠٢] وكان معظم الزنادقة في

(١٠١) الطبري ١/٨٧٠ (١٠٢) انظر الفهرست لابن النديم ٣٩٧-٨

الإسلام ممن تأثروا بالمانوية او دعوا اليها .

واهم كتب المانوية هو « الشابورقان » وكان يحتوي على ثلاثة ابواب الخفاة [١٠٣] ، وهذا الكتاب « هو من بين كتب الفرس معول » وفيه فصول عن الاعياد ومواعيدها، وكان مكتوباً بالخط السرياني، وقد وجدت بعض اجزائه في تورخان [١٠٤] ونقل عنه ابن النديم صفحات طويلة ، غير ان المصادر لم تذكر من ترجمه الى العربية .

واذا كان في الافستا وشروحها فصول عن الطب وبعض العلوم ، فان كتب المانوية اقتصرت على العقائد ولم تتطرق الى العلوم .

يتبين مما تقدم ان المعلومات المتوفرة في المصادر تظهر ان الساسانيين لم يخلفوا كتباً مهمة في العلوم مكتوبة بالبهلوية وان العرب لم ينقلوا عن الساسانيين الا بعض المعلومات في التنجيم والمواليد والفلك والطب وان ما نقلوه اقل مما ادعى بعض الباحثين المحدثين عنه .

★ ★ ★

(١٠٣) كذلك ٣٩٩ .

(١٠٤) انظر كرستنسن ١٨٨ .